المقاصد التفسيرية في الحكاية عند المقاليين العرب
الرّافعي والمازني والزّيات اختياراً

أ.د. عبد الله حبيب كاظم
جامعة القادسية – كلية التربية
الباحثة: رشا فلاح حسن
جامعة القادسية – كلية التربية/ أدب

Interpretive Purposes in narratives by Arab Essay Writers in Al-Rafi'i, Al-Mazini, and Al-Zayyat

Prof. Dr. Abdullah Habib Kadhem
Al-Qadisiyah University - College of Education
Rasha Falah Hassan
Al-Qadisiyah University - College of Education / Literature

ملخص البحث

تعد الحكاية من أهم منجزات المجتمع الإنساني لما لها من أثر بالغ في الحياة، إذ ترجمت ذاته وآلامه وعززت كيانه ووجوده، فهي بناء سردي ثري، تضافرت فيه مكونات عدة حتى وصلت إلينا بهذا النضج، لذا تحتل الحكاية موقعا ريادياً مهماً في التراث الثقافي العربي، فهي تتطلع على العادات والتقاليد المختلفة في المجتمع، هدفها نقدي تقويمي، ولكل أديب طرائقه ومقاصده الخاصة في هذه الحكايات. وفي هذا البحث سنتطرق إلى أهم المقاصد التفسيرية في الحكاية عند المقاليين العرب (الرافعي والمازني والزيات اختياراً)، وما يدور في حكاياتهم من مقاصد تفسيرية الهدف منها الكشف عن تلك الحكايات وتشخيصها ومن ثم تحليلها على وفق الرؤية النقدية بما يلائم مقاصدهم التفسيرية.

الكلمات الافتتاحية: الحكاية، المجتمع، المقاصد التفسيرية، نقد السلبيات والعيوب.

Abstract

The narrative is one of the most important literary works of human society due to its profound impact on life. It translates the society's suffer, strengthening its being and existence. It has a rich narrative structure, in which several components have combined to reach this maturity. Therefore, the narrative occupies an important pioneering position in the Arab cultural heritage, examining the various customs and traditions in society. Its goal is critical and evaluative, and each writer has his or her own methods and purposes in these narratives. In this study, we will address the most important interpretive purposes of narratives among the Arab Maqalists (al-Rafi'i, al-Mazini, and al-Zayyat, to name a few), as well as the interpretive purposes underlying their narratives, the goal of which is to uncover and characterize these narratives, and then analyze them according to a critical perspective that aligns with their interpretive purposes.

Keywords: Narrative, Society, Interpretive Purposes, Criticism of Negatives and Defects

مقدمة:

الحكاية رؤية في الحياة تصور تجارب الحاضر، لتصبح رؤية في أنساق الحياة، وهي في تفاعلها مع الحاضر، إنّما تتشابك مع الماضي بأواصر الروح الإنسانيّة التي تعين على فهم الواقع وإدراكه في خضم تفاعلاته وصراعاته في الأطر الحضارية كلّها، لتؤول إلى وحدات اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية تدفع الإنسان نحو العيش في رهان تلك التفاعلات والصراعات.

من هنا يأتي هذا البحث الموسوم بـ(المقاصد التفسيرية في الحكاية عند المقاليين العرب، الرافعي والزيات والمازني اختياراً) ليرصد إفادة المقالي العربيّ من الحكاية في تفسير الهدف المراد من بناء المقالة في أي اتجاه كانت، والمقصد التفسيري هنا مقصود لذاته، وهو أصل في بناء الحكاية، ومن ثمّ توظيفها في النّص المقالي عند كتابة الثلاثة (الرافعي والزيات والمازني) وهو بهذا يفارق مقاصد أخرى عمل عليها المقاليون العرب، ومنهم هؤلاء الثلاثة، كالمقاصد التربوية والحجاجية.

وفي سبيل العمل المنهجي الأكاديمي على هذه الحكايات في ضمن المقالات للكتّاب الثلاثة، فقد كان التحليل هو آلية الدراسة، مع استعانة واضحة بأدوات التأريخي والاجتماعيّ متى دعت الحاجة إلى ذلك.

لذلك كانت الرؤية البحثية للنّصوص المقالية بوصفها وحدة واحدة في المقاصد التفسيرية غير قابلة للتجزئة أو التقسيم، وإن بدا أنّ بعض الحكايات التفسيرية تتسم بملمح حجاجي أو تربوي أو غير تربوي.

مدخل:

إنّ توظيف المقاصد التفسيرية له أثره البالغ في العمل الإبداعي، كون هذا الاتجاه يمثل وجهة نظر الأديب تجاه المجتمع وقضاياه السياسية والاجتماعية والثقافية، إذ يُفهم من خلال الخطاب السردي للحكاية، وتظهر جوانبه وأهدافه الإصلاحية التي تهدف إلى

معالجة السلبيات في المجتمع فيعمل على كشفها وإبرازها، ومن ثم نقدها، فيتم ذلك من خلال (النظر والبحث في مقاصد النصوص والمصالح المتوخاة من أحكامها، ثم تفسيرها واستخراج معانيها ومقتضياتها وفق ما لاح من مقاصد)[١]، فيكون الغاية من تلك المقاصد الفهم والإفهام.

إنّ الأديب ليس بمعزل عن المجتمع، فهو من صلبه نشأ وترعرع فيه، واصبح له تأثير واضح وجلي فيه، فهو ليس بمراقبٍ أو راصدٍ لظواهره وقضاياه فحسب؛ بل ذهب (يعالج هذه الظواهر في حيزها المكاني والزماني وفي ارتباطها بعضها ببعض؛لأنّ المجتمع كائن حي تكثر فيه المؤثرات وتتعدد التفاعلات،وهذا أصبح بتطور الحياة ويتفرع بتفرع اتجاهاتها)[٢] أي أن الأديب له أهداف وغايات من وراء أعماله الإبداعية والفنية،منها رصد ومعالجة الظواهر السلبية والقضايا الإنسانية التي تدور حول الإنسان والمجتمع.

ولما كانت المقاصد تدل على الغاية والهدف، وتعبر عن وجهة نظر الأديب في العمل الإبداعي؛ لذا فإن الغاية والهدف من المقاصد التفسيرية هو بالأساس إصلاحي وهذا يمثل الإصلاح الاجتماعي والسياسي والإنساني، والديني المتمثل بالإرشاد والهداية إلى الإسلام والعمل بالتعاليم الإسلامية الفذة، عبر بث المضامين الإسلامية في الحكاية عن طريق القصص والأخبار والأحداث والوقائع التاريخية، فيكون ذلك بمثابة التأسي بتلك الحكايات، عبر الكشف عنها وإبرازها من خلال المقاصد التفسيرية للحكاية؛لأن من سمات ذلك المقصد أنه (لون من ألوان التفسير يبحث في الكشف عن المعاني والغايات)[٣] ونحن من خلال تلك الحكايات نبحث بالعرض والتحليل عن مضامين تلك الحكايات وتفسير ما يقصده النص، بدءاً من العنوان إلى

المتن ثم الخاتمة.

الحكاية والتفسير:

في(اليمامتان)، أراد الرافعي أن يفسر لنا من وراء هذه الحكاية فطرة الإسلام وبيان جهل الإنسان من أمر النبوة، كما أراد أن يبن لنا وظائف الرسل في أداء رسالاتهم، فبعد أن كان العرب يعبدون الأصنام ويقتاتون على الجراد، جاء الدين الإسلامي لينتشل هذه الإعراب بعد أن كانوا كما تقول(ماري): «قوم جياع ينفضهم الجدب على البلاد نفض الرمال على الأعين في الريح العاصف، وانهم جراد إنساني لا يغزو إلا لبطنه؛ وأنهم غلاظ الأكباد كالإبل التي يمتطونها، وان النساء عندهم كالدواب يرتبطن على خسف، وانهم لا عهد لهم ولا وفاء، ثقلت مطامعهم وخفت أمانتهم، وإنّ قائدهم عمرو ابن العاص كان جزاراً في الجاهلية...وقد جاء بأربعة آلاف سالخ من أخلاط الناس وشذاذهم لا أربعة آلاف مقاتل من جيش له نظام الجيش، وتوهمت مارية أوهامها،... استطير قلب مارية وافزعها الوساوس، فجعلت تندب نفسها، وصنعت في ذلك شعرا هذه ترجمته جاءك أربعة آلاف جزار أيتها الشاة المسكينة»[٤]،فأراد الرافعي من وراء هذه الحكاية أن يفسر لنا ما كان يجهله الناس تجاه الدين الإسلامي، لينقل لنا الصورة المثلى للدين، من حيث أخلاق المسلمين، واتباعهم لنبيهم نبي الرحمة كما قالت إرمانوسة: «إنّ نبيهم أطهر من السحابة في السماء، وانهم جميعا ينبعثون من حدود دينهم وفضائله، لا من حدود انفسهم وشهواتها، واذا سلوا السيف سلوه بقانون، واذا أغمدوه أغمدوه بقانون، وقالت عن النساء: لئن تخاف المرأة على عفتها من أبيها أقرب من أن تخاف عليها من أصحاب هذا النبي، ويكاد الضمير الإسلامي في الرجل منهم يكون حاملاً سلاحاً يضرب صاحبه اذا هم بمخالفته»[٥]، فأراد الرافعي أن يضع النقاط على

الحروف، من خلال المقاصد التفسيرية إذ كان الهدف منها أن يبين للعالم أجمع ما هو الإسلام وماهي تعاليمه، وأن كل ما ورد من احاديث أو روايات ما هي إلا أحاديث ملفقه تريد أن تشوه الإسلام، وهذا ما فسره قول ارمانوسة إذ تقول: «إنهم لا يغيرون على الأمم، ولا يحاربونها حرب الملك، وإنّما تلك طبيعة الحركة للشريعة الجديدة، تتقدم في الدنيا حاملة السلاح والأخلاق، قوية في ظاهرها وباطنها، فمن وراء أسلحتهم أخلاقهم، وبذلك تكون أسلحتهم نفسها ذات أخلاق»[٦].

ثم يوضح الرافعي من وراء مقاصده التفسيرية مزايا الدين الإسلامي الذي هو دين العدل والأخوة الصادقة، وهو دين النجاة وبدونه لا نجاة أو سعادة، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٧]، وهذا ما قالته إرمانوسة: «إنّ هذا الدين سيندفع بأخلاقه في العالم اندفاع العصارة الحية في الشجرة الجرداء، طبيعة تعمل في طبيعة، فليس يمضي غير بعيد حتى تخضر الدنيا وترمي ظلالها، وهو بذلك فوق السياسات التي تشبه في عملها الظاهر الملفق ما يعد كطلاء الشجرة الميتة الجرداء بلون أخضر.. شتان بين عمل وعمل وإن كان يشبه لوناً...»[٨].

الرافعي في حكاية (الأسد)، يعرج إلى كثيرٍ من المقاصد، هدفها تفسيري نقدي لما أراده الله ورسوله للحكام وعلماء الدين، فالعلماء هم الذين قال الله في حقهم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[٩]، فهم خير البرية والراسخون في العلم و أولي الأمر الذين أمرنا الله ورسوله بالرجوع اليهم، فمن الواجب أن يكونوا أتقياء أنقياء يعملون بما انزله الله وما سنّه الرسول عليهم من شرائع وتعاليم سماوية، في حكاية (الأسد)، يروي لنا الرافعي حكاية الرجل العالم و الورع مع الطاغية الحاكم، إذ يقول: «كان

احمد بن طولون من جارية تركية وكان طولون أبوه مملوكا حمله نوح بن أسد عامل بخاري... فولد احمد في منصب ذلة تستظهر بالطغيان... ونشأ من أول أمره على أن يتم هذا النقص ويكون أكبر من أصله فطلب الفروسية والعلم والحديث... كأنما يريد أن ينقطع من اصله ويلتحق بالأمراء فلما التحق بهم ظل يكبر ليلحق بالملوك...»[١٠]، فكان مع هذا طاغية يقتل ويبطش ويسفك الدماء، فذهب إليه احد العلماء من ذي الورع والطاعة يعنفه ويرشده وهو الشيخ أبو الحسن فلما سمع الطاغية بهذا الخبر وما أورده الشيخ في حقه أ احضر له أسداً كي يلتهمه ولكن حدث مالم يكن متوقعاً إذ يقول: «ذهب أبو الحسن يعنفه ويأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر، طاش عقله فأمر بألقائه إلى الأسد... كان الأسد الذي اختاروه للشيخ أغلظ ما عندهم جسماً، ضارباً، عارم الوحشية، متزيل العضل، شديد عصب الخلق، هراساً فراساً... وأجلسوا الشيخ في قاعة واشرفوا عليه ينظرون، ثم فتحوا باب القفص من أعلاه فجذبوه فارتفع، وهجهجوا بالأيد يزجرونه، فانطلق يزمجر ويزأر زئيراً تنشق له المرائر ويتوهم من يسمعه أنه الرعد وراءه الصاعقة! ثم اجتمع الوحش في نفسه واقشعر ثم تمطى كالمنجنيق يقذف الصخرة فما بقى من أجل الشيخ إلّا طرفة عين، ورأيناه على ذلك ساكنا مطرقا لا ينظر إلى الأسد ولا يحفل به وما منا الا من كاد ينتهك حجاب قلبه من الفزع والرعب والإشفاق على الرجل»[١١]، فكان الشيخ رابط الجأش قلبه عامر بالإيمان والورع لم يخف من عظمة الأسد ووحشيته بل راح يتأمل الخالق وعظمته، وبدا يصلي صلاة العشق مع الله، حتى انذهل الحاضرون مما رأوا إذ يقول: «لم يرعنا إلّا ذهول الأسد عن وحشيته فأقعى على ذنبه ثم لصق بالأرض هنيهة يفترش ذراعيه، ثم نهض نهضة أخرى كأنه غير الأسد،

فمشى مترفقاً ثقيل الخطو تسمع لمفاصله قعقعة من شدته وجسامته، وأقبل على الشيخ وطفق يحتك به ويلحظه ويشمه كما يصنع الكلب مع صاحبه الذي يأنس به، وكأنه يعلن أنّ هذه ليست مصاولة، ولكنها مبارزة بين إرادة ابن طولون وإرادة الله!...»[١٢]، فهي حرب ومعركة بين الخير والشر، بين إرادة الإنسان الطاغي، وبين إرادة الله، بين العالم الورع المؤمن، وبين الطاغية، وهذا متأت من إيمان الشيخ وتقواه الذي جعل منه رجلا صابرا أمام الوحش الكاسر، فعلى الرغم وحشية الأسد إلّا أنه: (رأى الأسد رجلا هو خوفَ الله، فخاف منه، وكما خرج الشيخ من ذاته ومعانيها الناقصة، خرج الوحش من ذاته ومعانيها الوحشية، فليس في الرجل خوف ولا هم ولا جزع... ونسي الشيخ نفسه فكأنما رآه الأسد ميتاً ولم يجد فيه (أنا) التي يأكلها... قال: وانصرفنا في النظر عن السبع إلى النظر في وجه الشيخ فإذا هو ساهم مفكر ثم رفعوه وجعل كل منا يظن ظنا في تفكيره فمن قائل إنه الخوف اذهله عن نفسه، وقائل انه الانصراف بعقله إلى الموت، وثالث يقول انه سكون الفكرة لمنع الحركة عن الجسم فلا يضطرب، وزعم جماعة إنّ هذه الحالة من الاستغراق يسحر بها الأسد، وأكثرنا في ذلك وتجارينا فيه، حتى سأله ابن طولون: ما الذي كان في قلبك وفيم كنت تفكر؟ فقال الشيخ: لم يكن عليَّ بأس، وإنما كنت افكر في لعاب الأسد أهو طاهر أم نجس...)[١٣].

في المقاصد التفسيرية يسعى الأديب إلى إبراز الجانب المضيء من الحياة والكون عبر ربط الأحداث والوقائع بمسائل أخلاقية معرفية دينية، ومن ثم حث الناس على السير بوفق ما يرتضيه الله وما انزله في كتابه، ومن بين عظمة الطقوس والعبادات قرآن الفجر الذي ذكره الله في محكم كتابه: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ

إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[١٤]، في حكاية (قرآن الفجر)، يقص لنا الرافعي عظمة القرآن وهو يصدح في المساجد فجراً تلك الطقوس التي تبعث في النفس الطمأنينة والسكينة برفقة والده، إذ يقول: «كنت في العاشرة من سني وقد جمعت القرآن كله حفظاً وجودته بأحكام القراءة، ونحن يومئذ في مدينة (دمنهور) عاصمة البحيرة، وكان أبي رحمه الله كبير القضاة الشرعيين في هذا الإقليم، ومن عادته أنه كان يعتكف كل سنة في أحد المساجد عشرة الأيام الأخيرة من شهر رمضان، يدخل المسجد فلا يبرحه إلا ليلة عيد الفطر بعد انقضاء الصوم... وما هي حكمة هذه الأمكنة التي تقام لعبادة الله؟ إنها أمكنة قائمة في الحياة تشعر القلب البشري في نزاع الدنيا أنه في إنسان لا في بهيمة»[١٥]، ففي المسجد يؤدي المؤمن طقوسه من الصلاة وقراءة القرآن والتعبد، ثم يذكر الرافعي تفاصيل المكان وزحمة الناس فيه وصوت المؤذن وتلاوة القرآن الجميلة والعجيبة التي كان لها الوقع الخاص في قلوب سامعيه، إذ يقول: «لا أنسى أبداً تلك الساعة وقد انبعث في جو المسجد صوت غرد رخيم، يشق سدفة الليل في مثل رنين الجرس تحت الأفق العالي وهو يرتل... كان صوته على ترتيب عجيب في نغماته... واهتز المكان والزمان كأنما تجلى المتكلم سبحانه وتعالى في كلامه، وبدا الفجر كأنه واقف يستأذن الله أن يضيء من هذا النور! وكنا نسمع القرآن قرآن الفجر وكأنما محيت الدنيا التي في الخارج من المسجد وبطل باطلها فلم يبق على الأرض إلا الإنسانية الطاهرة ومكان العبادة وهذه هي معجزة الروح متى كان الإنسان في لذة روحه مرتفعا على طبيعته الأرضية..»[١٦]، فتلاوة الفجر لها الأثر البالغ عند المؤمنين فهو وقت هدوء وطمأنينة وسكينة، وقت يتلاشى فيه كل شيء، وقت الصمت الرهيب والسكون العميق الذي تعرج

فيه الأماني إلى خالقها عبر الدعاء والتلاوة، فقد برع الرافعي في تلك المقاصد في هذه الحكاية وحكايات أخرى في وحي القلم[١٧].

في المقاصد التفسيرية غالباً ما يريد الأديب أن يعكس صورة المجتمع، فهو مرآته ولسانه الناطق والمعبر عن آلامه وهمومه، والكاشف عن سلبياته والمشخص لها، إذ يجد أنجع الحلول ليكون المجتمع في أجمع صورة، من خلال ما ينسجه، لأنّ الأديب يستشف (أثر المجتمع في الإنسان)[١٨]، في حكاية (درس من النبوة)، يكشف لنا الرافعي عظمة النبي المرسل ﷺ وهو يضع لنا الدستور الإلهي والطريق الواضح في بناء المجتمع، إنه درس في الأخلاق والتهذيب حول زينة المرأة وحليّها إذ يقول: «قالوا: إنه لما نصر الله تعالى رسوله وردّ عنه الأحزاب وفتح عليه قريظة والنضير، ظن أزواجه صلى الله عليه وسلم أنه اختص بنفائس اليهود وذخائرهم؛ وكنّ تسع نسوة، عائشة، وحفصة، وأم حبيبة، وسودة، وأم سلمة، وصفية، وميمونة، وزينب، وجويرية؛ فقعدن حوله وقلن: يا رسول الله بنات كسرى وقيصر في الحلى والحلل، والإماء والخول، ونحن ما تراه في الفاقة والضيق... وآلمن قلبه بمطالبتهن له بتوسعة الحال، وأن يعاملهن بما تعامل به الملوك وأبناء الدنيا أزواجهم؛ فأمره الله تعالى أن يتلو عليهن ما نزل في أمرهنّ من تخييرهن في فراقه، وذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٢٨-٢٩] »[١٩]، فقد خيرهن النبي بين البقاء معه على أن ينلن الآخرة ورضوان الله، وبين تسريحهن بإحسان تقابله زينة الدنيا وزخرفها،فبدأ بهن جميعاً وطرح السؤال عليهن فرفضن التسريح وزينة الدنيا

على البقاء مع الرسول الكريم فعندها سماهن الله (أمهات المؤمنين) تعظيما لحقهن، فالنبي العظيم لم ينظر يوما إلى زينة المرأة وحليّها، بل إلى روحها وقلبها، وان جمال المرأة ليس بالحلي والزينة والتبرج، بل بعفتها وحشمتها وأخلاقها، فهو درس في الأخلاق يريد منه أن يعلم أمته أن زوجاته جميعا مثل أزواج فقراء المسلمين من حيث الملبس والزينة، وهناك درس أخر وحادثة أخرى عندما دخل على ابنته فاطمة عليها السلام وشاهدها ترتدي الفضة ينقلها لنا الرافعي قائلاً: «وجاء ذات مرة من سفر فدخل على ابنته فاطمة رضي الله عنها فرأى على بابها سترا وفي يديها قلبينِ من فضة، فرجع؛ فدخل عليها أبو رافع وهي تبكي، فأخبرته برجوع أبيها، فسأله في ذلك فقال صلى الله عليه وآله: من أجل الستر والسوارين. فلما اخبرها أبو رافع هتكت الستر ونزعت السوارين فأرسلت بهما بلالاً إلى النبي صلى الله عليه وآله وقالت: قد تصدقت به، فضعه حيث ترى فقال لبلال: اذهب فبعه وادفعه إلى أهل الصُّفة، فباع القلبين بدرهمين ونصف (نحو ثلاثة عشر قرشا) وتصدق به عليهم»[٢٠]، وهذا درس آخر في الأخلاق تخطه لنا فاطمة الزهراء عليها السلام بإيثارها ما تملك من الفضة والستر وتبيعه وتتصدق به إلى المهاجرين الذين لا يملكون منزلا ولا طعاماً، إنّ المقاصد التفسيرية في هذه الحكاية تبين لنا مكانة الإسلام وعظمته، كما تبين منزلة النبي بين المسلمين وما يحمله من خلق عظيم في إنصاف الرعية وحق الحق حتى مع زوجاته بل حتى مع ابنته فاطمة، وهو درس في الأخلاق لكل الحكام الذين يتسيدون المناصب، فالحاكم على الرعية لا ينبغي أن يحكم إلا اذا كان في روحه وقلبه إحساس كبير بفتنة الدنيا وزخرفها وان لا يخضع لأهوائه وشهواته، كي يصبح قائدا يأخذ بالرعية إلى بر الأمان وهذا ما نجده في شخصية النبي الكريم صلى الله عليه وآله.

يستلهم الأديب البارع وقائع الحياة فيعيد إنتاجها بالصورة المثلى التي تلائم تطلعاته بما ينسجم مع الواقع، ليفسر لنا مقاصده من وراء الحكاية وهدفه بأن ينقد الاعوجاج الحاصل في المنظومة المجتمعية، وان يضع النقاط على الحروف، في حكاية (مثلٌ من الشباب الصالح)، يسرد لنا الزيات حكاية الفتى المناضل الذي كرس حياته في البحث والقراءة وهو مشغول بطلب العلم، حتى تخرج من الدراسة في قسم الزراعة فاراد أن يمارس تخصصه في العمل والزراعة، لكن رغبة أبيها حالت دون ذلك فكان يريد له الوظيفة، وبدا بصراع كبير بين رغبة أبيه، وبين حلمه وتطلعاته إذ يقول: «عرفت منذ أيام فتى غريض الشباب رقيق الإهاب وضيء الطلعة، يتكلم فيشع عقله في معانيه، ويشع ذكاؤه ذكاؤه في مراميه...تخرج منذ أسبوع في كلية الزراعة وكان الثاني في ترتيب الناجحين...»[٢١]، فهذا الفتى كان مثالا للطالب الطموح المواظب، مبتهج الوجه، متفائل دائماً، لكنه كما يقول الزيات جاءني على غير عادته فقد (زارني منذ يومين فوجدته على غير عادته، مشغول القلب منقبض الصدر مشترك الخاطر، لا أثر عليه لنشوة الفوز ولا لذة الراحة ولا لفرحة المنصب، كأنما هو آخر الدبلوم أو فقير متقدم من غير وسيلة، مالك ساهم الوجه مكروب النفس يا أحمد هنيئاً لك الدبلوم والأولية! فقال والاسى يبين في صوته ولهجته، ليتني لم أنل هذا الدبلوم ولم أحز خطر هذا السبق!)[٢٢]، فهو حزين وفي قلبه ألم كبير، بسبب من أبيه فهو يريد منه أن يخوض في مهنة الوظيفة، بينما الشاب يريد أن يعمل في الفلاحة، إذ يقول: «يريد لي الوظيفة. والوظيفة سجن لنفسي الطليقة، وتعطيل لملكاتي الموهوبة، ومحو لمعارفي المكسوبة، وقتل لآمالي الناشئة وتوجيه لميولي الطبيعية إلى الرضا الذي لا أحب، والى القصد الذي لا أريد، إنّ في مزارعنا الواسعة

مجالا فسيحا لناشطي، ومراداً بعيداً لعلمي، ومختبراً صالحاً لتجاربي، ومغرساً كريماً لآمالي، فأنا أوثر أن احمل عبء العمل عن والدي، واستغل علمي وعملي في تحقيق مقاصدي... إن شهادتي في فن الزراعة والوظيفة الفنية كالوظيفة العلمية لا تصلح طريقاً إلى السلطان، ولا وسيلة للجاه ولا أداة للثروة، إنّما الفن مجده في استقلاله، وخيره في حريته...»[٢٣]، معللا ذلك بأن الوظيفة هي لقصار الآمال بسبب من خفض أجرها وعدم دعم الحكومة لها، فالقطاع الخاص مورده أكثر وأكبر من القطاع العام، فلا تقييد ولا ذل ولا تبعية، فالمقاصد التفسيرية هنا تشير إلى تفسير طموح الشباب اليوم، بتكالبهم وإقبالهم على الوظيفة، وتركهم القطاع الخاص الذي تتوافر فيه مصادر وفيرة من الرزق والمال.

(تجلديا قارون) حكاية أراد منها الزيات أن يفسّر لنا من وراءها مقصد الطمع والجشع وحب الدنيا عن طريق شخصية إقطاعية، فـ(قارون) اسم مستعار لإحدى الشخصيات في مصر بعد أن جردتهم الثورة من أراضيهم، فهي حكاية تمثل حالة الطمع والجشع والرغبة الجامحة في حب المال والدنيا، وما نلحظه من هذه الحكاية أن الزيات كان شامتاً ساخراً وناقماً منه، فبعد كل ذلك الملك والسلطة، (لم يبق لك من ثرائك الفاحش الضخم إلا جسد بض، وبطن شحيم، ووجه جهم، وذهن مغلق، وسمعة قبيحة، وكانت هذه المزايا التي مازك الله بها مستورة بالطين، فما كان يراها أحد فلما كشفوا عنك غطاء الذهب واستردوا منك جلال اللقب، بدوت في شرفة القصر عارياً من زينة الجسد والروح،.... أنا والله شامت بك يا قارون! لما قرعت سمعك وسمع الأمير بزواجر النصح الخالص، ولكنكما لم تكونا يومئذ تصدقان أن للناس رباً يمهل ولا يهمل!، وان للعدل نوراً يخبو ولا ينطفئ، وان للشعب وعياً يضعف ولا

يموت وها هو ذا غضب الله يحل ونور العدالة يشرق ووعي الأمة يستيقظ، فهل اغنى عنكم النضار الذي كنزتموه؟ والعقار الذي حرزتموه؟ لقد أخذتكم صيحة الجيش بالحق فآمنتم لأول مرة أن الناس عبيد الله، وان الوطن ملك الجميع، وأن الملك أحد الناس، أنا والله شامت بك وبأمثالك يا قارون... كنت يا قارون تكره العلم لأنّك تحب الجهل، وتوالي الظلم لأنك تعادي العدل؛ فماذا تصنع اليوم وقد أصبحت محتاجاً إلى العلم لتعمل، ومفتقراً إلى العدل لتعيش!)[٢٤]، فها هو عزاء المظلومين يشرق وإنذار الظالمين ينتهي، فالإنسان مهما بلغ في ظلمه وعدوانه سيأتي ذلك اليوم المحتوم وينال جزاءه، وهو ترجمان لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾[٢٥]، وهو وعد صريح من الله سبحانه وتعالى بأن ينتقم من الظالمين وان ينالوا جزاءهم العادل.

(إشعاع الإيمان)، حكاية معبرة وهادفة وفيها مقاصد تفسيرية واضحة، إذ تتجسد فيها المواعظ والحكم فضلا عن غايات وقيم أخلاقية، تتمثل في رجل الدين (الشيخ عمر)، أراد الزيات من وراء هذه المقاصد أن يبرهن لنا مكانة الإيمان والتقوى واثرها البالغ في حامليه، وبخاصة رجال الدين، ونحن نلحظ أن في عصر الحاضر كثيراً من الفتن ومفاتن الدنيا، فهي لا تختص بفئة دون أخرى، ولا تقتصر على طائفة معينة، بل إنّ الشيطان يزيغ قلوب المؤمنين، وهذه المرة يختار الزيات (رجل الدين)، ليضعه أمام امتحان صعب، في دوامة المنكر والبغي، في بيت لا يسكنه احد سوى فتاة جميلة بائعة الهوى، وضعها وجهاً لوجه مع الشيخ عمر، لكن إشعاع الإيمان في قلب الشيخ، وإيمانه الكبير، جعله ينتصر في آخر المطاف ويتغلب على الشيطان، وقد كان الزيات في هذه المقاصد يتخذ دور الروي؛ فيقول: «فجاء يوم

الجمعة خرج ماشياً إلى زيارة الأولياء في المقابر... وفي ذات يوم من أيام الجُمع وقع في نفسه أن يصلي الجمعة في مسجد أبي العلاء ببولاق...فخرج من الأزهر في ضحوة النهار واخذ يسال عن الطريق إلى ذلك المسجد والناس يدلونه أو يضلونه حتى دفعه القدر إلى المكان الرسمي للمومسات بالقرب من ميدان العتبة الخضراء، كان الشيخ يسير في هذا الشارع العاهر...ثم فطن إلى انتقاض وضوئه حين لمست يده بغياً من البغايا تريد أن تعبث به فاستغفر الله وحوقل، ثم سال صبيا من صبيان ذلك الحي أن يدله على مسجد يجدد فيه وضوءه فقد كان يكره أن يمشي على غير وضوء، وكان الصبي خبيث الفطرة فاحش الدعابة فدله على بيت مومس وقال له: هذا يا سيدي دورة مياه الجامع الأحمر»[٢٦].

أراد الشيخ أن يكمل وضوأه، فما كان به إلّا أن يسأل عن مكان قريب ليجدد فيه الوضوء، وما حصل هناك؛ كأنه حرب مع الشيطان وجه لوجه، فمن ينتصر؟. وقد استعمل الزيات تقنية الحوار في هذه المقاصد، وعن طريق الحوار يبين لنا الأديب الفوارق بين المتحاورين إذ (ينبغي عليه أن يجعل حوار أو حديث كل منهم مختلفاً اختلافاَ واضحاَ، يظهر الفروق الفردية الدقيقة بينهم في طريقة التفكير والتعبير)[٢٧] وهذا ما نجده واضحا في الحوار بين الفتاة "بائعة الهوى" وبين "الشيخ عمر" إذ يقول الراوي: «دخل الشيخ الدار فإذا فتاة كصورة القارئة في متحف اللوفر، بباريس قد اضطجعت على كنبتها الوثيرة وهي نصف عارية فلما رآها اسبل عينيه وغمغم بالاستغفار والدعاء وقالت ماذا تريد يا شيخ، أريد أن أتوضأ، نادي أباك يقودني إلى الحنفية ألست ابنة خادم المسجد؟ فأجابت الفتاة وقد ادركت كل شيء، بلى يا سيدي أنا ابنته، وسأقودك إلى الحنفية فافتح عينيك واتبعني فقد لبست ثيابي. وأرشدت

الموسس العالم إلى مكان الطهارة... وفتح الشيخ الحنفية وتوضأ وجاءت الفتاة ببشكير أوبر...ثم أقسمت عليه المرأة ليجلس على الكنبة ريثما تهيء له فنجان قهوة،...ثم سألته إلى أين تذهب فقال لها: إلى مسجد السلطان أبي العلاء فخرجت أمام الدار ونادت عربة من عربات الركوب فأجلست الشيخ فيها ثم أعطت الحوذي الأجرة...»[٢٨].

الأدب رسالة إنسانية يبدعها الأديب الحاذق كي تصل إلى المجتمع، فهو يرصد العيوب ويكشفها ويشخصها، من ثم يضع الحلول الناجعة لها، ويقيم الاعوجاج الذي طال في المجتمع وبهذا يكون قد حقق الهدف من وراء ذلك، وهذا ما نجده في الحكاية، فالمقاصد التفسيرية التي أرادها الزيات كانت واضحة، فما لبثت الفتاة حتى رجعت إلى رشدها، بعد أن بث الشيخ في روحها إشعاع الإيمان الذي توقد في روحها، إذ يقول: «رجعت الموسس إلى دارها وعليها من الشيخ شعاع نفذ إلى ظلام نفسها فأشرقت بالصلاح والخير ثم لم تر بعد ذلك اليوم إلّا في ثوبها الأسود قاعدة تخيط أو قائمة تصلي»[٢٩].

(متى يغضب الفلاح)، حكاية عن الظلم الذي يتعرض له الفلاح المصري، فالمقاصد التفسيرية لهذه الحكاية واضحة وجلية، فمنذ البدء يتساءل الزيات بـ(متى) الزمانية، وهو سؤال تهكمي عن الأوضاع التي يتعرض لها الفلاحون من ظلم وجور ونقص في الثروات وغيره، فالمقصد التفسيري يريد منه الزيات أن يثور المظلومين بوجه الطغاة، وأن يسترجعوا حقوقهم المسلوبة، وثرواتهم التي تبددت نتيجة الإقطاعيين، وان الفلاح بطبيعته كما يقول الزيات: «إنّ قيم الرضا والقناعة والصبر هي الصفات المميزة للفلاح المصري، تأصلت فيه بالطبع والوراثة والبيئة والعقيدة، فأثرت في حياته، وهيمنت على سلوكه وتصرفت بهواه»[٣٠] وهذه الطباع

جعلته يصمت عن قول الحق، أو أن يطالب بحقوقه، مما جعله يركن ويقبل بالذل والخنوع، فالمقصد التفسيري من وراء هذه الحكاية أن يثور المظلومون على الظالمين، وان يطالبوا بحقوقهم المسلوبة، فالصمت أمام هؤلاء يزيد من طغيانهم، وجبروتهم، ثم يسخر الزيات من طريقة السكوت التي المّت بواقع الفلاح المصري، فالحاكم والوزير اصبح يتلذذ بالظلم والطغيان والفلاح مازال صامتاً إذ يقول ساخراً متهكماً: (يستبد بحكمه طاغية كالحاكم بأمر الله فيستكين، ويثب على عرشه خصي ككافور فيخضع، وتملك عليه امرأة كشجرة الدر فيطمع، ويسيطر على أمره الأجنبي فيرضى، ويستأثر بخيره المستعمر فيقنع، ويحطمه بالذل صاحب الحكم فينقاد، ويسمع بالأحداث تتدفق على وطنه ويتواثب على قومه فلا ينبض فيه عرق ولا يغلى له جوف! كأنما كل امرئ في الريف أمة واحدة: شأنه يغنيه، ورزقه يكفيه، وكوخه يؤويه، وكل ما خرج عن غيطه وبيته لا يعنيه)[٣١]، فبات ساخطاً عليهم بسبب من سكوتهم على الظلم والطغيان، وكأن الأمر لا يعنيهم، فجاء الزيات بمجموعة من التشبيهات التي تمثلها في النص وشخصيات طاغية مثل (الحاكم بأمر الله، وكافور) ليبين حجم الطغيان الذي أصاب البلاد، وكل هذا ومازال الفلاح صامتاً خانعاً للظلم.

المقاصد التفسيرية تثير في المتلقي تساؤلات عدة، وتحرك في روحه الواقدة ثورة من الأفكار والتساؤلات، عبر (لماذا، وكيف، ومتى) وهذا ما ابدعه الزيات في حكايته، وهو يتساءل بتهكم ساخر، عن الفلاح الذي بات يأكل ويشرب متناسياً ويتغلغل فيه الظلم متناسياً جور الحكام، وكأنه استسلم لهذا الواقع المزري، أو أنه قد قَبِل بالأمر الواقع وما فيه من ظلم وجور، وكأنّه لا ينتمي إلى هذه البلاد، فأصبح مثل دودة الأرض التي تستعمل الأرض في أكلها وشربها، فيقول: «مادام الفلاح وهو

سواد الشعب ممدوداً في دود الأرض يزرع ويأكل، ويحفر وينام، ولا يهمه أن ظلم حكامه أو عدلوا، وجدّ زعماؤه أو هزلوا؛ وسواء عليه أخرج المحتلون أم بقوا، وسعد مواطنوه أم شقوا، فهيهات أن يكون لنا رأي عام وحكم صالح ودستور صحيح ووطن مستقل! ومتى استنار ما ظلم من نفسه، واستيقظ ما غفا من حسه أدرك أنّه مصدر السلطة ومورد الثروة وعماد الأمّة فلا يقبل أن يهمله حاكم، أو ستغله ظالم، أو يتغفله زعيم، ولكن ليت شعري بأي طبل يسمع وبأي بوق يفيق؟ !»[٣٢]، فلا يمكن أن تقوم البلاد وتزدهر وهي خاضعة لظلم الطغاة، وجور الحكام، وكأن الزيات يندب هذه البلاد بعد أن بُح صوته وهو يناديهم أن يثوروا بوجه الظالم.

في حكاية (ثورة فيها ريح النبوة)، كناية عن العدل والحرية الذي تميزت به الثورة في مصر، إذ أن من وراء هذه الحكاية مقاصد كثيرة، تنم على العدل والحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي تميز به قادة الثورة فلم تغريهم الملذات، أو يغيرهم السلطان أو الكرسي، وكانت ثورتهم أشبه بثورة الأنبياء التي حطمت الأصنام، ودعت إلى الحق والمساواة بين الرعية، وقد بدأ الزيات يمهد لهذه الحكاية متأسياً بالأنبياء فيقول: «كل نبوة كانت ثورة، ومن أخص ما ميز ثورات النبوات أنها كانت للسلام العام والصلاح المطلق، فلا تجد نبياً دعا إلى عرض الدنيا، ولا رسولا سعى إلى سلطان الحكم، إنّما كان الأنبياء والمرسلون جند الله، يعملون بوحيه، ويهتدون به...»[٣٣]، وبعد أن وضح رسالات الأنبياء ومكانتهم، عرج إلى ذكر الثورة في مصر، مشيرا إلى قادتها الذين كان لهم نصيب من أخلاق الأنبياء وعدلهم وحكمهم إلى الرعية، فيقول: «فلما ختم الله رسالاتهم برسالة محمد كتب على نفسه الرحمة أن يرسل إلى الناس في كل حقبة مصلحا يؤدبه بآداب الأنبياء

ويجريه على منهاج الرسل... ولم تجتمع هذه الصفات لأحد قبل قادة هذه الثورة، وسر ذلك أنهم نشأوا في طبقة الفلاحين الكادحين، فعرفوا كيف يكون الحرمان، وعملوا تحت إمرة المستكبرين المستهترين فعلموا كيف يكون الطغيان؛ وأضاءت قلوبهم النقية إشراقة من نور الله، فرأوا من تحت الظلام الكثيف المخيف عرش مصر يرتطم في القذر، وجيش مصر يضطرب في الفساد، وشعب مصر يتمرغ في الذل، فشبوا شبوب النار الهادئة، تقتل المكروب ولا تحرق المريض، وهبوا هبوب الريح اللينة تدفع الشراع ولا تغرق المركب ثم عالجوا أمر هذه الأمة بعلاج الرسول الكريم... ثم أذاقوا الناس لأول مرة في تاريخ مصر نعمة الحرية والمساواة...»[٣٤]، ففي هذه الحكاية جملة من المقاصد التي تتمثل بالثورة على الطغاة، وإرجاع الحق إلى مكانه، وتفسيرها أن الإنسان يجب عليه أن يكون ثائرا بوجه الظلم، واذا أراد أن يسترد حقوقه لابد من ثورة عظيمة تشبه ثورة الأنبياء في تمهيدها لرسالات الله، ولا بد لها أن تستمر وتستمر، ثم بعد ذلك المقصد يستنكر الزيات ما تؤول إليه الثورات ويخاف عليها من الضياع فيقول: «هل يجوز بعد أولئك كله أن يعيدونا إلى ثرثرة الأحزاب وسمسرة النواب ومهزلة الزعامة؟ لا يا قادة الثورة، إن الله جعل في أيديكم أمانة هذه الأمّة فلا تلقوا بها إلى من خانوها من قبل!»[٣٥]، وقد عمد الزيات إلى صيغ الأمر والنهي في خطابه، الخاصية التي يتميز بها أدب الوصايا، لأن الخطاب كان موجهاً إلى الحكام وقادة الثورة.

المقاصد التفسيرية تُنبئ بما يجول في ذهن الأديب المبدع، بدءاً من العنوان إذ يعمد على أن تكون فيه مفارقة أو حكاية مثل أو تناص، من ثمّ يمضي في سرد حكايته، وما على المتلقي إلّا أن يكشف عن تلك المقاصد ويفسرها، في حكاية (قطع العقدة

أسهل من حلها)، وهي كناية عن الجبن والخنوع إلى الظالم، والتضرع للسفيه أن يحلم، وللحاكم القوي أن يلين، ما يرد قوله الزيات هو الثورة على الطغاة وقطع دابرهم وإزالتهم من الحكم، وتغيير القوانين، وإجراء الإصلاحات الشاملة وهذا يكون افضل من إبقاء القادة والحكام وانتظارهم علّهم يُغيرون هذه البلاد إلى الأفضل، ولكن هيهات فقطع العقدة افضل بكثير من انتظار حلّها، فيبدأ حكايته بقائد الترك الذين ثاروا على حاكمهم واستطاعوا أن يغيروه، فيقول: «كان الموروث غفر الله له مهلوس العصب، أرعن اليد، ألكن اللسان، أخرق السياسة، فابتلاه الله بالحرب حتى قلّ وبالدين حتى ذلّ، وبالرشوة حتى فشل... فإما الترك الخلص البواسل فبتروا من خلفهم ذلك الذيل الطويل ثم انطلقوا خفافا إلى المجد وراء كمال»[٣٦].

ومن ثم بقادة العرب الذين ركنوا بعد ظلمهم وراء الملك فيصل، الذي استطاع هو الآخر أن يغير فيهم كثيراً فيقول: «وأما العرب الأقحاح الميامين فألقوا من فوقهم ذلك الحمل الثقيل ثم مضوا سراعاً إلى الملك وراء فيصل»[٣٧]، ثم يندب حظ مصر الذي شبه قائدها بقائد الترك المجنون، وهم ينتظرون أن يتغير أو يغير بأحوال مصر، لذا نراه يقول قطع العقدة، أي قطع دابر الحاكم الظالم فيقول متأسياً ناقماً: «وإما نحن وقرابتنا إلى المرحوم وما ترك قرابة كلالة، فقد نالنا من عهود الجزية، ومن قيود الامتيازات، ورأينا في نصوص القوانين ما يثبت القلوب المنخوبة على الحق، وفي سوانح الفرص ما يذكر الرقاب المغلولة بالعتق، ولكن الشعب الذي قسا عليه القدر فمحا من ذهنه الفروق بين التواضع والضعة، وبين الوداعة والذل، وبين المجاملة والملق وبين الكرامة والتساهل وبين الضيافة والاحتلال لا يستطيع أن يفهم من القانون إلا نص الواجب، ولا من (السابقة) إلا معنى الجرأة ولا

من الفرصة إلا خلاف الحزم»[٣٨]، فهو يناشد الشعب المصري أن يثوروا على الطغاة الذين فرطوا بالبلاد وبانحطاطنا عن الأمم الأخرى ويقصد الأوربية، فالأوربي بات يرى نفسه بسبب هذه الحكام أنه افضل منا واكثر تمكينا ومكانة ونحن مازلنا «نضرع للسفيه أن يحلم، وللخصم أن يحكم، وللقوي أن يستكين، ثم نحاول أن نتحاكم إلى المعاهدات ونتفاهم بالمفاوضات كأنما انقلبت حملة الغرب على الشرق دعوة إلى سبيل المدنية وتقدم الإنسانية على هدى السلام والعدل!»[٣٩]، فيستنكر ويسخط من هذه الأوضاع التي مرت على بلاد مصر، وهم يركنون إلى الحكام السوء والعملاء، فلا بد من قطع دابر العدو، وتغير الحكام وقادة الشر فلا يمكن علاج المسموم بالعزائم كما يقول ساخراً: «كلا يا سادة! إن علاج المسموم بالعزائم مزاح مع الداء لا تؤمن عاقبته، وان قتل الحية أهون من ترويضها، وان قطع العقدة اسهل من حلها وان المتنبي ما كان يجهل الناس حين قال:

إنما أنفس الأنَيْس سباع
يتفارسْنَ جهرة واغتيالا

من أطاق التماس شيء غلابا... واقتسارا لم يلتمسه سؤالا»[٤٠] وهو يشير إلى الصراع الأزلي بين الدول والى صراع الحضارات والاحتلال وغيره فمن يملك القدرة والسيطرة والقوة يأخذ ويظفر بما يريد، مثل الأسد في توحشه وقوته، فالناس تشبه السباع فيما تريده وتبتغيه في أمر السيطرة والقوة إذ تتفارس في السر والعلن من اجل البقاء.

هناك فارق شاسع بين الذكورة والأنوثة، ومن غير الممكن أن يصبحا متشابهين فهذا تشويه لصورة الرجل والمرأة على حد سواء، في حكاية (الذكورة والأنوثة) أراد المازني أن يضع النقاط على الحروف لهذه الظاهرة السلبية، فمقاصد التفسير من وراء الحكاية أن للرجل صفاته

الخاصة التي تميزه عن الأنثى من حيث المظهر والشكل والتعامل والطبيعة السايكلوجية، والمرأة لها مميزتها الأنثوية أيضاً، وفي زماننا كما يرى المازني تشبه الرجال بالنساء، وهي صفة سلبية في المجتمع، إذ بين المازني مقاصده من خلال المقارنة بين حقبة الخمسينيات وبين الحاضر الآن وشتان فيما بينهما، إذ كانت النساء في تلك الحقبة مستورات محجبات ومن ينظر إليهن لا يدري كما يقول: «أهي آدمية تلك الملفوفة في ملاءتها أم حشوها زف يبعثره الريح؟ فالآن صارت العين تتعب من النظر إلى مجالي الذوق حتى في الطرقات، ودع عنك المجتمعات والسهرات، نعم لا فرق الآن مثلاً بين أزياء المحصنات وغيرهن، ولكن لابأس سيتميزن بغير الأزياء، وصحيح أن الرجال والنساء تقاربوا حسن أيضاً ليس في الإمكان أبدع مما كان!»[٤١].

يمضي المازني في التهكم والسخرية والازدراء من تلك الظاهرة السلبية، إذ كان القصد منها أن يضع حداً لهذه المظاهر السلبية في المجتمع، وهي ظاهرة خطيرة تؤدي إلى تفكك الأسرة وانهيار المنظومة المجتمعية، إذ يقول: «والمعضل الذي يعنيني أحله هو: هل فقد الرجال ما كان لهم فيما مضى من القدرة على اجتذاب المرأة والاستيلاء على هواها بما كان لهم من صفات طبيعية؟ أم أصبحت الرجولة التي كانت تجدي عليهم قديماً في معركة الجنسية لا تنيلهم شيئاً الآن؟ أم ضعف إحساس المرأة بهذه الصفات وانحط تقديرها للمزايا الطبيعية؟ أو اجعل السؤال من الناحية الأخرى: شهدنا زمناً كانت فيه المرأة إذا بدا منها خنصرها من تحت الملاءة أو ما يماثلها ولمحته عين الرجل شهق وفهق وانتابته كالحمى، فالآن تبدو له نصف كاسية أو نصف عارية وما استتر من جثمانها في حكم الظاهر من فرط الدقة في جعل التفصيل كفيلا بعرض المحاسن وجلو المفاتن ومع ذلك لا يكاد الرجل يزيد

على الإعراب عن الإعجاب الفاتر، فهل تبرز المرأة الآن على هذه الصورة المجلوة لأنها تحس أن صفات الرجولة في الرجل قد ضعفت؟»[٤٢]، وهنا يستمر المازني بالتساؤل عن أسباب تفشي هذه الظاهرة معرجاً إلى المقارنة بين زمنين مختلفين، زمن الماضي الذي يعده الزمن الذي كانت فيه المرأة محتشمة يملئها الحياء، وكانت الرجال فيه تختلف تماما عن عصره الحالي، فهو يتهكم ويسخر من هذه الظاهرة المتفشية في المجتمع.

الأديب البارع يفتش عن المظاهر السلبية في المجتمع فيشخصها ويحاول بشتى الطرق معالجتها، في حكاية (سحر مجرب)، فمن خلال العنوان يوحي المازني إلى قضية السحر التي جربها وعمل بها، والسحر من القضايا والأمور الخطيرة التي تفتك بالمجتمع، ولكنه في هذه الحكاية جمع بين السحر والخرافة والاعتقاد الخاطئ، فالمقاصد التفسيرية من هذه الحكاية تكمن في وضعه النقاط على الحروف في قضية خطرة وهي الشعوذة والسحر، ليوضح لنا مقصده من تلك الحكاية أن ما يفعله الناس ويؤمنون به هو مجرد ترهات وخزعبلات لا تمد للواقع بأي صلة، ولا سيما أنه جربها واصبح ساخرا من نفسه في نهاية المطاف تبدأ الحكاية من عثوره على وريقات من جده معتقداً أنّها المنجي له، فيقول: «عثرت في باكورة حياتي على أوراق مخطوطة...وقد اعتقدت يومئذ أنّها بخط جدي لأبي...»[٤٣]، فبعد أن وجد تلك الوريقات طار فرحاً معتقداً أنها ستغير حياته، هذه الوريقات فيها سور وآيات قرآنية وبعض الأدعية فبعد أن رآها غمره الفرح والسرور، إذ يقول: «وجدت فيها فائدتين طرت بهما فرحاً، فأما الأولى فتقول: من أراد الارتقاء إلى الدرجات العلا فليتطهر ظاهراً وباطناً، وليصم سبعة أيام وليواظب دبر كل صلاة على هذه الأسماء يا هادي يا خبير يا متين يا علام

الغيوب ألف مرة فإنه يكشف له عن ملكوت السماوات والأرض بإذن الله تعالى وأما صفتها للإخفاء فهي أن تقرأ الآية الشريفة سبعمائة وخمسين مرة، ثم تقول﴿ يس ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ إلى قوله: ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ثلاثمائة وثلاث عشرة مرة فلو اجتمع أهل السماوات والأرض على أن يبصروك لم يقدروا ويعمي الله أبصارهم عنك فلا يروك»[٤٤].

وبعد أن قرأ تلك الوريقات غمره السرور وذهب بخيالاته بعيداً، فاعتقد أنّه قد التقى برجل سيحقق له كل أحلامه وتطلعاته، وهذا الضرب من الجنون يصيب كثيراً من أبناء المجتمع، فكانت المقاصد التفسيرية واضحة وجلية، إذ يقول: «فجمح بي الخيال فبدا لي كأني في التهليل والتسبيح والدعاء فجاءني رجل وجلس عن يميني لم ارَ في زماني أحسن منه ولا أطيب ريحاً، فقلت: من أنت؟ قال: أنا الخضر، جئتك حباً في الله عز وجل، وعندي هدية أريد أن أهديها إليك فقلت: وماهي هي؟ قال: هي أن تقرأ فقاطعته وقلت: كفى. كفى. لقد بح صوتي من القراءة فدع هذا وهات لي.»[٤٥].

وحتى يحقق المازني تلك النبوءة التي سرح بها في خياله، ذهب يمتطي حماره ليعتكف في الجبل، وقد جلب معه البخور والشموع علّه أن يتخلص من واقعه البائس الذي هو فيه، لكنه تفاجأ بعد ذلك إذ يقول: «ولا أدري ماذا أصابني؟ ولكن الذي أدريه أني ظللت أقرأ وأقرأ في جوف الليل وأطلق بخور الجاوي واللبن ثم لم أعد أعي شيئاً، ولما قمت في الصباح كان ضوء الشمس قد غمر السهل والجبل، فخرجت من الغار وأنا لا أفهم، وأدرت عيني في كسل وفتور ثم تذكرت الحمار، فجمد دمي في عروقي، وأحسست العرق البارد يتصبب أين ذهب؟ وكيف يفك القيد عن أرجله ويحل اللجام عن الصخرة؟ ولا خير في الإطالة

فقد سرقه اللصوص وأنا ملقى كالجثة في جوف الغار، بارك الله في جدي وفوائده...!»[٤٦]، فبعد أن كان يمنّي النفس بفتاة أحلامه وان يحصل على الأموال والقصور وان يُصبح ذا شأنٍ، فاق من سباته وخيالته ليجد نفسه أمام كهف مظلم في قعر الجبل وقد سُرق متاعه وحماره، والمقصد التفسيري في هذه الحكاية يأخذنا إلى عالم الخرافة الذي بات متفشيا في المجتمع، وهي مظاهر يمارسها كثيرٌ ممن لا يؤمنون بالله وبكتابه ورسله.

(حي ولا كالأحياء) حكاية فيها كثير من المقاصد التفسيرية، والتي يبدأها المازني بحكاية الفتى المسكين الذي دفع ثمن جهل والديه، رغم مما: (كان أبواه صالحين، إلّا انهما جاهلان)[٤٧]، إلا انهما جعلاه ضعيف الشخصية؛ لأن الأب كان (ضعيفاً فزمامه في يد امرأته، وكانت امرأته قوية وقل طاغية)[٤٨]، فكانت أمه هي من يقود أمور الأسرة وهي المدبرة بحكم سيطرتها وتغطرسها مما جعلت من هذا الفتى المسكين حبيس المنزل، والمقصد التفسيري في هذه الحكاية هو سوء التربية والتغطرس من الوالدين تجاه أطفالهما، مما ينتج عن هذه الممارسات ضعف في شخصية أولادهم، والخوف والقلق وغيرها، فحتى بعد أن فارقا الحياة لم يتخلص هذا الطفل من خوفه ورعبه تجاه الواقع، فلم يستطع أن يواجه هذا الواقع، نتيجة ما تلقاه في طفولته من تعنيف أو من جعله حبيس المنزل لا يختلط حتى مع الأطفال أو الأقارب إذ يقول: «ولحقت الأم بزوجها، ولكن موتها لم ينجه ولا أعفاه مما هو عليه، فقد ألف هذا الضرب من الحياة أكثر من ثلاثين سنة، واعتاد الكبت الخانق لكل شعور حتى أنه ما كان يجرؤ أن يعرب عما يدور في نفسه ولا لإخوانه إذ صح إنه استطاع أن يتخذ له إخواناً وما قصر في نشدان الأصدقاء، ولكن أنداده كانوا يرون طول صمته وانطواءه على نفسه، وكثرة

قعوده في بيته، ويعرفون خوفه من أمه، فزهدوا في صداقته لأنه لا بشيء فيها يسرهم»[٤٩]، فالمقصد من وراء هذا يفسر لنا أن جرّاء هذه الممارسات تصنع من الإنسان دمية صامتة وهذا ما حصل مع الفتى، إذ اصبح حي ولا كالأحياء، إذ يأسف المازني على هذا الفتى وما أصابه نتيجة سوء المعاملة والتربية الصحيحة، مما خلق منه فتى منطوياً على نفسه حبيس المنزل إذ يقول متهكماً: «إن صاحبنا لحي يرزق، لكنه لا يعد في الأحياء بأي معنى صحيح الا حين تقوم الدولة بإحصاء النفوس، وصحيح أنه يأكل ويشرب وينام ويدخل ويخرج، ويذهب إلى السينما أحياناً، ويطرب للسماع إذا أتيح له عفواً، ولكنه لا يحيا فإنه لا يعمل لا بجسمه ولا بعقله وقد ركدت عواطفه وإحساساته وأجرت في بحار خفية فما يتبدى منها شيء إلا حين يكون في خلوة تامة مع نفسه،... وتسأله ماذا ترجو؟ والى أي شيء يتطلع؟ فيحدق في وجهك كأنه غير فاهم ويسألك أرجو؟ تقول أرجو؟»[٥٠].

الخاتمة:

جاءت الحكايات في المقاصد التفسيرية على غايات وأهداف متنوعة، إذ تعبر عن وجهة نظر الكاتب في العمل الإبداعي، هدفها الأساس إصلاحي وهذا يمثل إصلاح المنظومة المجتمعية اجتماعياً وسياسياً وأخلاقياً؛ ودينياً عبر الإرشاد والتسامح والهداية إلى الإسلام عبر الحكاية وهذا متأتٍ عن طريق القصص المتنوعة والأخبار والأحداث والوقائع التاريخية الهادفة، فيكون ذلك بمثابة المحاكاة و التأسي بها، عبر كشفها وتشخيصها من خلال المقاصد التفسيرية للحكاية، مؤكدةً على الإيجابي الذي له أن يستقر ويكون صورة للحياة في ثباته وقوته، بوصفه قيمة للعدل والإنصاف والحكمة، وكل ما هو خير وجميل.

الهوامش:

١- الاجتهاد: النص، الواقع، المصلحة، د. أحمد الريسوني، أ.محمد جمال بركات، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، ٢٠٠٠: ٥٣.

٢- سوسيولوجيا الأدب، روبير سكاربيس،ط٣، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، ١٩٩٩: ٥.

٣- بين التفسير المقاصدي والتفسير الادبي، إبراهيم بنيحيى مركز تفسير للدراسات القرآنية،: ٤.

٤- وحي الفلم ج١: ٢٠.

٥- المصدر نفسه: ٢١.

٦- وحي القلم ج١: ٢١.

٧- ال عمران: آية ٨٥.

٨- وحي القلم ج١: ٢٢.

٩- فاطر: آية: ٢٨.

١٠- وحي القلم ج٤٨: ٣.

١١- وحي القلم ج٣: ٥٠.

١٢- المصدر نفسه والصفحة نفسها.

١٣- المصدر نفسه: ٥١.

١٤- سورة الاسراء: آية ٧٨.

١٥- وحي القلم ج٣: ٣٠.

١٦- المصدر نفسه: ٣١.

١٧- ينظر: المصدر نفسه ج١: قبح جميل: ١٥٩: وينظر في اللهب ولا تحترق: ٣٣٤.

١٨- في النقد الادبي الحديث، منطلقات وتطبيقات، الدكتور فائق مصطفى، عبد الرضا علي، ط١، دار الكتب لطباعة والنشر، الموصل: ١٩٨٩: ٧٣.

١٩- وحي القلم ج٢: ٦٠.

٢٠- وحي القلم ج٢: ٦٤.

٢١- وحي الرسالة: ٢٤٠.

٢٢- وحي الرسالة ج١: ٢٤١.

٢٣- المصدر نفسه: ٢٤٢.

٢٤- وحي الرسالة ج٤: ٨٢.

٢٥- سورة إبراهيم، أية: ٤٢ .

٢٦- وحي الرسالة مج ٢: ١٩٤.

٢٧- دراسات في نقد الرواية: ٤٥.

٢٨- المصدر نفسه: ١٩٥.

٢٩- وحي الرسالة مج٢: ١٩٥.

٣٠- المصدر نفسه ج٤: ٣٦.

٣١- وحي الرسالة ج٤: ٣٧.

٣٢- المصدر نفسه ٣٧.

٣٣- وحي الرسالة ج٤: ٨٣.

٣٤- المصدر نفسه: ٨٤.

٣٥- وحي الرسالة ج٤: ٨٤.
٣٦- وحي الرسالة ج١: ١١٩.
٣٧- المصدر نفسه الصفحة نفسها.
٣٨- وحي الرسالة ج١: ١٢٠.
٣٩- المصدر نفسه: ١٢١.
٤٠- المصدر نفسه: ١٢٢.
٤١- قبض الريح،: ١٣٣.
٤٢- المصدر نفسه: ١٣٤.
٤٣- صندوق الدنيا: ٦٧.
٤٤- المصدر نفسه الصفحة نفسها.
٤٥- صندوق الدنيا: ٧١.
٤٦- المصدر نفسه: ٧٣.
٤٧- سبيل الحياة: ٤٣.
٤٨- المصدر نفسه الصفحة نفسها.
٤٩- سبيل الحياة: ٤٥.
٥٠- المصدر نفسه: ٤٦.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم:

١- الاجتهاد: النص، الواقع، المصلحة، د.أحمد الريسوني، أ.محمد جمال بركات، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، ٢٠٠٠.

٢- بين التفسير المقاصدي والتفسير الأدبي، إبراهيم بن يحيى مركز تفسير للدراسات القرآنية.

٣- سبيل الحياة، إبراهيم عبد القادر المازني، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر،٢٠١٢.

٤- سوسيولوجيا الأدب، روبير سكاربيس،ط٣، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، ١٩٩٩.

٥- صندوق الدنيا، إبراهيم عبد القادر المازني، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر،٢٠١٢.

٦- في النقد الأدبي الحديث، منطلقات وتطبيقات، الدكتور فائق مصطفى، عبد الرضا علي، ط١، دار الكتب لطباعة والنشر، الموصل، ١٩٨٩.

٧- قبض الريح، إبراهيم عبد القادر المازني، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر،٢٠١٢.

٨- وحي الرسالة فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع والقصص، أحمد حسن الزيات، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط٢، القاهرة، ١٩٦٦.

٩- وحي الرسالة فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع والقصص، مكتبة نهضة مصر، احمد حسن الزيات، ط٧، مصر. ١٩٦٢.

١٠- وحي القلم، مصطفى صادق الرافعي، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٢٢.